المنطقة بعد نظام صدام: أولويات المرحلة القادمة.... 2/3

21-4-2003

فإذا أردنا أن ينجح المشروع الأمريكي وتسيطر الولايات المتحدة وحليفتها الودودة إسرائيل على المنطقة فسيكون ذلك، أمّا إذا أردنا عرقلة المشروع وإيقافه وبناء المشروع الحضاري الإسلامي فلا بد أن نعمل على ذلك.

بقلم محمد سليمان

مواد ذات علاقة

المنطقة بعد نظام صدام: أولويات المرحلة القادمة.... 1/3

ثانياً/تداعيات الحرب والسيناريوهات المتوقعة

قد تكون الولايات المتحدة نجحت في إنهاء الصراع مع النظام العراقي عسكريا، وتمكنت من القضاء عليه، واحتلال بغداد، لكن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن المشروع الأمريكي سينجح في تحقيق أهدافه الإقليمية في المنطقة، وإنما يمكن القول أنه قطع مرحلة من الطريق وما زال أمامه تحديات كبيرة ترتبط بتعقيدات الأوضاع داخل المجتمعات والدول العربية، وحتى داخل العراق نفسه. وهنا يبدو العنوان الذي قدمت فيه مجلة المستقبل العربي افتتاحية أحد أعدادها السابقة مناسبا في هذا السياق وهو: "أمريكا ليست قدراً"، وبالتالي تكون الإجابة حول مستقبل المنطقة وتداعيات الحرب وإمكانية نجاح المشروع الأمريكي مرتبطة بنا نحن !، فإذا أردنا أن ينجح المشروع الأمريكي وتسيطر الولايات المتحدة وحليفتها الودودة إسرائيل على المنطقة فسيكون ذلك، أمّا إذا أردنا عرقلة المشروع وإيقافه وبناء المشروع الحضاري الإسلامي فلا بد أن نعمل على

ذلك. وبالتالي فإنّ نجاح أي من السيناريوهات التالية في المنطقة يعتمد على إرادات الأطراف المختلفة ومدى قدرة كل منها على فرض أجندته الخاصة نسبيا.

في هذا السياق فإنّ السيناريوهات الأكثر ترجيحا للمرحلة القادمة، هي:

1. السيناريو الأمريكي: بناء على ما تقدم –في الجزء الأول- فإنّ السيناريو الأمريكي للمنطقة يقوم على بناء تحالف إقليمي مؤيد ومساند للولايات المتحدة وإدخال دول المنطقة ضمن ترتيبات سياسية واقتصادية وثقافية جديدة تعزز الاستقرار وتشكل نظاماً إقليمياً يحمي المصالح الأمريكية وفي مقدمتها النفط وإسرائيل، ويتخلص من بؤر ونتوء التوتر والأنظمة والتنظيمات الرافضة لهذا المشروع، والعمل على استئناف العملية السلمية.

وبناء على نتائج الحرب على العراق فقد استطاعت الولايات المتحدة إلى الآن أن تتخلص من نظام مزعج لها ولإسرائيل، رافض للعملية السلمية، لديه برنامج قومي طموح، ومشروع سياسي لبناء قدرات عسكرية، ويسيطر على جزء كبير من المخزون الاستراتيجي العالمي من النفط. كما تمكنت في نفس الوقت من ضرب أحد أطراف محور الرفض للمشروع الأمريكي سوريا، إيران، العراق وداعم رئيس للمقاومة الفلسطينية، وبالتالي سيسهل على الولايات المتحدة الآن الضغط على سوريا لتعديل سلوكها، وعزل إيران والضغط عليها واحتوائها[1][1].

1[1] أشاد الرئيس الأمريكي بتعاون سوريا وتفهمها للمرحلة، بعد أن كانت الولايات المتحدة قد شنت حربا سياسية وإعلامية عليها، انظر: www.aljazeera.net، 21/4/2003.

ووفقا للترتيبات الجديدة ستتغير الأوزان النسبية للدول في المنطقة فسيتعزز وزن العراق الإقليمي والذي سيتحول إلى عمود من أعمدة السياسة الأمريكية، وستقل أهمية السعودية ومصر وسيزيد الضغط عليهما من أجل تنفيذ أكبر للمطالب الأمريكية بإجراء إصلاحات سياسية وثقافية واقتصادية تعزز الانفتاح الاقتصادي والسياسي بما ينسجم مع التوجهات الأمريكية، وتبدد مصادر الجماعات الإسلامية وتجفف منابعها. وسنكون هنا أمام مثلث استراتيجي إقليمي جديد وهو: العراق- تركيا- إسرائيل، وستعيد الولايات المتحدة وإسرائيل تشغيل خط كركوك- حيفا النفطي والذي سينعش الاقتصاد الاسرائيلي والامريكي ودول هامشية تابعة مثل الأردن.[2][2]

في ضوء هذا السيناريو ستزدهر الحرب الأمريكية على الإرهاب، وستتوجه الجهود الأمريكية والعربية لمحاربة الحركات الإسلامية خاصة الجهادية: حماس، الجهاد، حزب الله. أو ما بشّر به محمد الجاسم رئيس تحرير مجلة الوطن الكويتية بانتهاء عصر دكاكين خيال العربي وابتداء عصر الواقعية السياسية.[3][3]

لكن ما هي أبرز معوقات وموانع تحقيق هذا السيناريو في المرحلة القادمة؟..

2[2] انظر حول رؤية متوقعة لهذه التداعيات على المنطقة وعلى القضية الفلسطينية : ملف مجلة شؤون دولية بعنوان "تداعيات الغزو الأمريكي للعراق" ، ع 113، 2003.

3[3] انظر تعقيبا على هذا المقال : محمد سليمان، الحركات الإسلامية بعد ضربة العراق، مرجع سابق.

1. الوضع في العراق: ليس بالضرورة أن تنجح الولايات المتحدة سياسيا في العراق كما نجحت عسكريا، بل إنّ الدكتور النفيسي يتوقع أن يكون العراق بمثابة الوحل السياسي الذي ستغرق وتتورط فيه الولايات المتحدة[4][4]، لما في هذا البلد من تناقضات سياسية وطائفية وعرقية، ولضعف وهشاشة المعارضة العراقية التي تعتمد عليها واشنطن وعدم قدرتها على تشكيل قيادة مقنعة للشعب العراقي، أو لعدم قبول الشعب للهيمنة والوصاية الأمريكية، كما سيأتي لاحقا.

فإذا فشلت الولايات المتحدة في تأمين حكومة فدرالية عراقية موالية وخاضعة لها فإن ركنا رئيسا من أركان النظام الإقليمي الذي تسعى الى بنائه سيفشل، وسيهدد كل المشروع بالفشل.

وهنا أستذكر ما كتبه فريدمان بعد زيارة له لمصر حيث ذكر أنه قابل هناك استاذا امريكيا –قبل الحرب- فقال له: إنني أشبه ما تقوم به الولايات المتحدة في العراق بطائرة مخطوفة وهي الشعب العراقي، فإذا استطاع رجال المارينز الاستيلاء على الطائرة في الجو، والهبوط بها في آمان فإنّ هذا سينعكس إيجابيا على سمعة ونجاح الولايات المتحدة في المنطقة. ووفقاً للمثال السابق فليس النجاح مرتبط فقط بالاستيلاء على الطائرة وإنما بالنجاح في إدارة العملية حتى تصل الطائرة وتهبط بسلام، فإذا لم يتم الأمر فإنّ الحرب لن تكفل النجاح المطلوب لهذا المشروع.

4[4] انظر سلسلة المقالات المتميزة التي نشرها الدكتور النفيسي في مجلة العصر قبل وقوع الحرب بعنوان : "المحصول الاستراتيجي للحرب"، www.alasr.ws، إرشيف منتدى العصر.

2. طبيعة المنطقة العربية: فالسؤال العراقي لا يمكن مقارنته بالحالة اليابانية بعد الحرب العالمية الثانية[5][5]، نظرا للاختلاف الشديد بين طبيعة المنطقة العربية وبين منطقة جنوب أسيا، فالعراق محاط بدول ومجتمعات عربية تنتمي أغلبها للدين الإسلامي، وتتميز بوجود حالة متزايدة من الإسلام الكفاحي المجاهد، وبمشروع إسلامي يستند إلى حركات إسلامية وبحس شعبي عام متعانق غالبا مع دينه، وهذه العوامل كلها المتأسسة على دور الدين في الحياة العربية تسند جميعها رفض الشعوب العربية للاحتلال الامريكي للعراق، وتشكيل هذه القوى والشعوب دعما وسندا لوجستيا هائلا متوقعا لأي مقاومة عراقية تنشأ ضد الاحتلال والقواعد الأمريكية في العراق.

كما إن المواجهة الحضارية التي بدت واضحة في الأونة الأخيرة، تشحذ باتجاه تعبئة الوعي العام ضد التواجد الغربي الذي أصبح ينظر اليه في سياق الصدام الديني، خاصة مع وجود الإدارة الأمريكية الحالية اليمينية المتصهينة، ومع تزايد الحنقة الشعبية العربية على السلوك الأمريكي الاستفزازي للكرامة العربية، ولقتل المدنيين والأبرياء، وتحدي الشعور العام من خلال تعيين

5[5] طرح بول وولفيتز نموذجا آخر لمستقبل العراق هو النموذج الروماني والتحول الذي حدث هناك بعد سقوط النظام الشيوعي، وهذه المقارنة غير ناضجة ولا تعبر عن دراية حقيقية بالاختلافات الجوهرية بين الحالتين، فالنموذج الروماني في التحول السياسي والاقتصادي هو نموذج تحول ذاتي وليس بفعل قوة احتلال، كما أنه حدث بفعل انهيارات كبرى في دول أوروبا نتيجة تفكك الاتحاد السوفيتي السابق.

جارنر –الصديق الحميم لشارون- حاكما عسكريا لأهم الدول العربية المحورية على الإطلاق.

كما إنّ تجربة الخليج الثانية وانعكاساتها الشعبية والنفسية أثبتت عكس ما يقوله الجاسم في مقاله السابق سيء الصيت، بل إن هزيمة الخليج أنتجت حركات إسلامية مسلحة مجاهدة وتزايد كبير في شعبية الحركات الإسلامية، ودفعت بشكل كبير باتجاه حراك اجتماعي إيجابي نحو الدين وليس العكس -كما يتوقع الجاسم-.

أضف إلى ذلك وجود الصراع العربي-الصهيوني وما يلقيه بظلال واسعة جدا على الحياة السياسية العربية، وما يفرضه من طبيعة خاصة للمنطقة العربية تتداخل فيها العوامل الدينية والسياسية والاجتماعية وتتشابك، بحيث لا يمكن النظر إلى قضية داخل المنطقة منفصلة عن السياق العام، وإذا لم يتم تسوية الصراع والوصول الى سلام دائم ومستقر –وهو الأمر المستبعد تماما في المرحلة القادمة حتى في رؤية الاستراتيجيين الأمريكيين- فإنّ نجاح واستقرار وهيمنة المشروع الأمريكي معرضة للفشل.

2. سيناريو الفوضى الإقليمية: وهو الذي يقوم على فرضية أساسية وهي أنّ الشعوب والمجتمعات ليست "أحجاراً على رقعة الشطرنج"، وإنما هي أرادات وقوى ومصالح – كما يقول إبراهيم عجوة (أمين سر حركة فتح الانتفاضة في الأردن)- ، وبالتالي السيناريو الأمريكي يفترض أن الولايات المتحدة هي التي تمتلك الإرداة والقدرة على تنفيذ ما تريد متجاهلة وجود قوى محلية وإقليمية قد تتعارض مصالحها مع مصالح الولايات المتحدة

ووفقاً لهذه الفرضية فإنّ الولايات المتحدة ستفشل في بناء الحكومة العراقية الفدرالية في العراق، وستتحول العراق الى أفغانستان أخرى، أو ما يسمى لبننة العراق، تحولها الى منطقة جذب إقليمية لصراع القوى الطائفية والعرقية المحلية، وتدخل القوى الإقليمية المجاورة لحماية مصالحها والطوائف التي ترتبط بها عرقيا او طائفيا، بالإضافة الى وجود فرصة للحركات الإسلامية الجهادية للتحرك وبناء وجود لها باستثمار فراغ السلطة الناشيء، أو ما يسمى في الاستراتيجية الأمريكية تصبح العراق نموذجا لـ"الدولة الفاشلة".

هذه الفوضى الداخلية ستورط القوات الأمريكية وتدفعها للدخول في نزاعات داخلية أو الانسحاب كما حدث سابقا في لبنان و الصومال، وستهدد المصالح الأمريكية وسمعتها العالمية وتزيد من معارضة الرأي العام الداخلي الأمريكي للإدارة الحالية، بالإضافة أنها ستعزز وجهة القطب الدولي الجديد المتنامي: فرنسا-ألمانيا- روسيا.

كما إنّه سيترشح عن هذه الفوضى الداخلية –كما يرى إبراهيم عجوة- فوضى إقليمية تدخل المنطقة في حالة من الصراعات على المصالح والأيدلوجيات، وتوتر الوضع الإقليمي بأغلبه، وقد ينتج عن هذه الحالة حروب إقليمية محدودة أو مغامرات عسكرية إسرائيلية في لبنان أو ضد سوريا.

3. سيناريو المقاومة والجهاد: يقوم هذا السيناريو على فرضية أنّ الشعوب العربية والإسلامية لا يمكن أن تقبل بالاحتلال الأمريكي، وهي على مر التاريخ كانت تنتج حركات تحررية تقاوم المستعمر والمحتل، خاصة دولة مثل العراق معروفة بشعبها

العنيد وحضارتها العريقة، ودورها الدائم في مقاومة الاحتلال الذي تتعرض له.

ويفترض هذا السيناريو أن زوال النظام العراقي السابق سيؤدي الى ظهور حركات شعبية وانتعاش الحالة السياسية والوطنية في العراق، وأنّ المرحلة القادمة سوف تنتج رموزها، الذين سيتولون قيادة المعركة السياسية والجهادية ضد الاحتلال الأمريكي.

ويشير هذا السيناريو الى الحالة النامية الآخذة بالتجذر في العراق بعد الاحتلال من الرجوع الى المساجد وعودة النفوذ والقوة والأثر السياسي والروحي لعلماء ورجال الدين في العراق.[6][6] وقد أحدثت خطبة الجمعة التي القاها رئيس جمعية العلماء المسلمين في العراق د. أحمد الكبيسي في أول جمعة بعد الغزو ردود فعل شعبية وعربية وإعلامية كبيرة جدا، ولقيت صدى واسعا، حيث دعا فيها الى مقاومة الاحتلال الأمريكي البريطاني وبالوحدة داخل العراق بين الأعراق والطوائف والعمل الوطني لتشكيل عراق جديد، هذه الدعوة تصاحبت مع دعوة علماء شيعة كبار ومظاهرات ومسيرات اجتاحت بغداد ومدن العراق الأخرى تدعو الى الوحدة ومقاومة المستعمر رافعة شعارات إسلامية خالصة: " سنة وشيعة إيد بإيد للتحرير براية التوحيد" ، "لا سنية ولا شيعية إسلامية إسلامية"،...

وقد بدأت الأحزاب الإسلامية بالظهور وباتخاذ مواقع وباكتساب زخم شعبي، وهذه كلها مؤشرات على ان المقاومة الإسلامية

6[6] انظر على سبيل المثال: العراقيون يتمترسون بالإسلام في مواجهة الاحتلال، www.aljazeera.net. 19/4/2003.

هي المؤهلة لقيادة الشعب العراقي في المرحلة القادمة لا المعارضة العراقية الأمريكية. ومن المعروف أن المشروع الإسلامي الذي تنطلق منه القوى الإسلامية بفرعيها الشيعي والسني وبامتداداتها الكردية ترفض القبول بالشروط الأمريكية للعراق القادم. وهنا فإن حالة الجهاد والمقاومة والنضال بكافة أشكاله العسكرية والسلمية مؤهلة للصعود وللانتشار داخل العراق.

هذه الحالة الجهادية العراقية إذا توازت مع الحالة الجهادية في فلسطين والتي تقودها اليوم بشكل كلي حماس والجهاد مؤهلة لتشكيل حالة شعبية عربية عامة تقود المجتمعات العربية نحو رفض المشروع الأمريكي وممانعته وإحداث استراتيجيات وآليات في مواجهة المرحلة القادمة، خاصة مع وجود حركات إسلامية شعبية كبيرة في المنطقة مثل: حماس والجهاد في فلسطين، حزب الله في لبنان، الأخوان المسلمون في الأردن، التيار السلفي بشقيه الإصلاحي والجهادي في الخليج وبالأخص في السعودية.

ووفقا لهذا السيناريو ستصبح الحركات الإسلامية وجهاً لوجه أمام المشروع الأمريكي، وستتولى هذه الحركات قيادة الشارع العام، لكن إن أحسنت بناء رؤيتها واسترتيجيتها وأدواتها للمرحلة القادمة ، وهو ما يرتبط بالجزء الثالث من نقاشنا حول أولويات المرحلة القادمة..

يتبع..

أولويات المرحلة القادمة

المنطقة بعد نظام صدام: أولويات المرحلة القادمة.... 1/3

18-4-2003

لقد كانت الحرب السابقة بمثابة "المفتاح الذهبي" للمشروع الأمريكي القادم والذي يتمثل في إطاره العام في بناء إجماع استراتيجي مؤيد للولايات المتحدة من باكستان إلى البحر المتوسط، وإنعاش فكرة النظام الشرق أوسطي، لكن هذه المرة بدعامات أقوى وبشروط نجاح أكثر في مقدمتها حكومة عراقية موالية للولايات المتحدة –بعد انهيار النظام العراقي- والتي ستوظفها الولايات المتحدة بشكل كبير في تحقيق المصالح الأمريكية، و تتمثل أبرز الأهداف الأمريكية بعد إسقاط الحكم العراقي

بقلم محمد سليمان

أنهت الولايات المتحدة جزءاً مهما من التحضير للهيمنة الكاملة لمشروعها في منطقة الشرق الأوسط – التي تعتبر أهم المناطق الاستراتيجية الأمريكية-، وذلك بالتخلص من نظام صدام حسين المزعج لها خاصة مع طموحاته التسليحية ورفضه لمجمل العملية السلمية للصراع العربي-الصهيوني. بيد أنّ الولايات المتحدة تدرك أكثر من غيرها أنّ هذا الانتصار العسكري ما هو إلاّ مرحلة تمهيدية من مراحل إنجاز المشروع الأمريكي وتكريس النظام الإقليمي المطلوب والذي سيضمن تحقيق المصالح الأمريكية.

وتبدو المرحلة القادمة بكل وضوح -في تحقيق هذا المشروع- بالقضاء على الحركات الإسلامية النهضوية الرابضة على ثغور الحس الإسلامي العام أو احتوائها الى درجة لا تبقى مؤثرة ومهيمنة على الساحة الشعبية العربية، ولعل هذه

المرحلة هي المرحلة الحقيقية الحاسمة من الصراع الجوهري وهو الصراع بين المشروع الإسلامي والمشروع الصهيوني-الأمريكي، هذه المواجهة القديمة الجديدة تأتي الآن مكشوفة واضحة للعيان.

من هنا على الحركات الإسلامية قراءة المرحلة قراءة عميقة تقوم على بناء تصور واضح للأهداف الأمريكية وآليات تحقيقها، وتداعيات احتلال العراق الإقليمية، ثم وضع تصور مدروس ومبرمج لأجندة الفترة القادمة في تحديد أهداف المشروع النهضوي الإسلامي الاستراتيجية وأدوات المواجهة.

وتحاول هذه الورقة وضع مقاربة أولية للمرحلة القادمة وألويات الحركات والمجتمعات الإسلامية فيها، من خلال ثلاثة أجزاء على النحو التالي:

1. المشروع الأمريكي "أهدافه وأدواته"
2. مدى إمكانية نجاحه والسيناريوهات الإقليمية المتوقعة.
3. أولويات الحركات الإسلامية في المرحلة القادمة.

أولاً/ المشروع الأمريكي "أهدافه وأدواته":

لقد كانت الحرب السابقة بمثابة "المفتاح الذهبي" للمشروع الأمريكي القادم والذي يتمثل في إطاره العام في بناء إجماع استراتيجي مؤيد للولايات المتحدة من باكستان إلى البحر المتوسط، وإنعاش فكرة النظام الشرق أوسطي، لكن هذه المرة بدعامات أقوى وبشروط نجاح أكثر في مقدمتها حكومة عراقية موالية للولايات المتحدة –بعد انهيار النظام العراقي-

والتي ستوظفها الولايات المتحدة بشكل كبير في تحقيق المصالح الأمريكية، و تتمثل أبرز الأهداف الأمريكية بعد إسقاط الحكم العراقي في:

1. الحفاظ على وجود عسكري استراتيجي أمريكي في المنطقة وفي الخليج العربي، يضمن للولايات المتحدة السيطرة على مصادر الطاقة، والتحكم بالأسعار، وجني فوائد اقتصادية كبيرة للشركات النفطية الأمريكية وشركات الإعمار.

2. المضي في العملية السلمية بالاستفادة من دروس المرحلة السابقة، وفقا للخطة الأمريكية الجديدة "خارطة الطريق"[7][1] والتي تعتمد على وقف لعمليات إطلاق النار بداية، وعلى اتفاقيات جزئية تمهد الطريق للحل النهائي، لكن شريطة القيام بإصلاحات فلسطينية سياسية وأمنية، وعلى رأسها تحييد عرفات؛ إما بعزله أو بسحب صلاحياته من خلال رئيس وزراء فلسطيني منتخب، وبقيادة فلسطينية جديدة مثقفة ليبرالية.[8][2]

7[1] انظر نص الوثيقة التي حصلت عليها صحيفة الرأي الأردنية: 9/كانون الثاني/2003.

8[2] انظر حول الرؤية الأمريكية: المرجع السابق، وثيقة الأمن القومي الأمريكي 2002، موقع وزارة الخارجية الأمريكي، وهنري كيسنجر، هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية، ص 173، وكذلك: Agenda 2003 Shaping America's Future على موقع www.heritage.org

3. الضغط على أنظمة عربية حليفة للولايات المتحدة ولكنها تناور في تنفيذ المشروع الأمريكي وهي مصر والسعودية، من خلال اعتبار العراق أحد الأعمدة الرئيسة للسياسة الأمريكية الشرق أوسطية.

4. تشديد الحصار على كل من إيران وسوريا لتغيير سلوكهما، بالنسبة لسوريا فلا يبدو من الوثائق والمصالح الأمريكية أن المطلوب تغيير بنية النظام، ولكن تغيير سلوكه السياسي ابتداء من الموقف من التسوية وانتهاء بالحالة السورية- لبنانية، وإلغاء دعم الحكومة السورية للمنظمات المعارضة للتسوية، وإجراء إصلاحات سياسية واقتصادية نحو "اللبرلة"، وبالتالي وفقا لهذا السيناريو فليس متوقعا أن تقوم الولايات المتحدة بضرب سوريا، وإنما الضغط الشديد عليها وفرض عقوبات اقتصادية وعسكرية لحملها على القبول بالمطالب الأمريكية.

أما إيران فمن الواضح أن الولايات المتحدة تراهن على التغيير من الداخل، وبالاعتماد خارجيا على سياسة الاحتواء. خاصة أن الدولتين (سوريا وإيران) ستجدان نفسيهما في بيئة إقليمية متحالفة مع الولايات المتحدة؛ من الشرق باكستان وحكومة أفغانية موالية لواشنطن، من الشمال تركيا عضو في حلف الناتو ومتحالفة عسكريا مع إسرائيل، وبالجوار العراق الجديد أحد أعمدة السياسة الأمريكية، ومن الجنوب دول الخليج وفي الجوار عدة دول تحتوي على تواجد عسكري أمريكي بري وبحري وجوي.

ومن استحقاقات المشروع الأمريكي الجديد إجراء إصلاحات سياسية واقتصادية وثقافية.. . وعند الولوج إلى هذه

المسألة، لابد من استحضار الدرس الذي يرى عدد من المحللين الأمريكان أن الولايات المتحدة قد تعلمته من أحداث 11 سبتمبر، وهو ثمرة مباشرة لمحاولة المفكرين والمثقفين هناك الإجابة على السؤال الجوهري:

لماذا قام شباب عربي من دول غنية متحالفة مع الولايات المتحدة وموقعة على اتفاقيات دفاع أو علاقات عسكرية وثيقة معها، مثل: السعودية ودول الخليج الأخرى بهذه التفجيرات؟..[9] [3]

لقد تمحور الجواب والتفسير الأمريكي للسؤال السابق حول مفهوم "الدولة الفاشلة" Failed State، وتلخص عبارة مارتن أنديك التالية جوهر الرؤية الأمريكية: " إنّ خطأ واشنطن الوحيد في الشرق الأوسط هو دعم نظم فشلت على نحو مستمر في تلبية الاحتياجات الأساسية لشعوبها، إن هذه النظم فضلت التعامل مع مشكلة حرية التعبير عن الرأي السياسي في بلدانها عن طريق توجيه المعارضة ضدنا".[10] [4] فهذه الرؤية الأمريكية باتت تنظر إلى أن دعم الولايات المتحدة للأنظمة العربية القمعية في المرحلة السابقة كان خطأ كبيرا دفعت واشنطن ثمنه في الحادي عشر من سبتمبر، وفي هجوم الحركات الجهادية على مصالحها في أنحاء العالم. فالدولة

---

9 [3] لعل هناك أسئلة أخرى برزت في محددات العلاقة بين العرب والولايات المتحدة تشتبك مع هذا السؤال في عدة مناطق سياسية وفكرية، مثل التساؤل الذي طرحه المثقفون والمفكرون الأمريكان: لماذا يكرهوننا؟.

10 [4] انظر: الجزيرة نت 11/10/2001.

الفاشلة التي تمتاز بظروف من التهميش الاقتصادي والاضطهاد السياسي هي الحاضنة للإرهاب، كما أن الدولة الهشة التي لا تمتلك شرعية سياسية قانونية تؤدي إلى تفريخ الإرهابيين.[11][5]

بناء على هذا الدرس ربطت الولايات المتحدة الحفاظ على مصالحها ومشروعها في منطقة الشرق الأوسط بما دعت إليه مبادرة كولن باول من تشجيع أمريكا للإصلاحات السياسية والاقتصادية والتعليمية في الدول العربية.[12][6]

سياسيا: المطلوب إصلاحات نحو الديمقراطية وحقوق الإنسان والحريات العامة، وتعزيز وجود ودور المجتمع المدني، وحقوق الأقليات وحرية المرأة، وإعطاء دور للمنظمات غير

11[5] انظر حول هذه الرؤية: بي.دبليو.سنفر، زمن الخيارات الصعبة: المآزق التي تواجه سياسة الولايات المتحدة نحو العالم الإسلامي، عن صحيفة الرأي،25/11/2002. وانظر كذلك: جون سبوزتو، الإسلام السياسي والسياسة الخارجية الأمريكية، في: أحمد يوسف، مستقبل الإسلام السياسي (وجهات نظر أمريكية)، المركز الثقافي بيروت، ط 2 2002، ص 114. وقارن ذلك ب: Stephen Zunes, Us Policy Toward Political Islam, Foreign Policy in Focus, September 12,2001,www.fpif.org

12[6] http://www.heritage.org/Research/MiddleEast/WM180.cf

الحكومية[13][7]. لكن المشكلة التي تواجه الولايات المتحدة في هذا المجال هو أن الديمقراطية والانتخابات تأتي غالبا في العالم العربي بالقوى الإسلامية كما حدث في الآونة الأخيرة في البحرين وتركيا والباكستان، كما أن مؤسسات المجتمع المدني تعطي الفرصة للإسلاميين المعادين للأجندة الأمريكية للتنفس السياسي من خلالها.

من هنا فإن الديمقراطية والإصلاحات السياسية التي تسعى لها الولايات المتحدة لا تتضمن إعطاء الفرصة للحركات الإسلامية المعادية للأجندة الأمريكية، وإنما بالدرجة الأولى لنخب ليبرالية تتعاون مع المنظمات غير الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني في تبني أجيال تؤمن بالديمقراطية الغربية وبالتحالف مع الولايات المتحدة وبالتسوية السلمية، وتحارب الفساد السياسي الذي استشرى في الدول العربية، بمعنى؛ أنه انفتاح سياسي مشروط وموجه، ويسعى إلى عزل الإسلاميين بالتدريج عن ميادين الـتأثير الشعبي.[14][8] لكنه يهيئ في ذات الوقت لوجود

13[7] انظر على سبيل المثال محاضرة ريتشارد هاس مسؤول التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية، Richard N. Haass, Toward a Greater Democracy in the Muslim World, 12/4/2002 www.cfr.org/publicatoin.php?id=5300.xm1.

14[8] تنطوي الرؤى الأمريكية المتغلبة في مراكز صنع القرار السياسي الأمريكي على مغالطات فكرية جوهرية في تفسير ظاهرة الإسلام السياسي وفي قراءة اسباب المشروعية الشعبية للحركات الإسلامية من خلال ربطها بالاضطهاد

طبقة سياسية جديدة أقل فسادا، وأكثر ليبرالية، وأقدر على التعامل مع التحديات السياسية والاقتصادية. وهذا يعني انفتاح الولايات المتحدة من خلال مؤسساتها المتعددة الرسمية وغير الرسمية على الشعوب العربية وعلى الفئات الاجتماعية المختلفة ومحاولة التأثير عليها وقراءتها بشكل أفضل.[15][9]

على صعيد الحركات الإسلامية فمن المتوقع أن تستمر الحرب الأمريكية والعربية بالوكالة ضد الحركات الجهادية وامتدادات تنظيم القاعدة[16][10]، ويرتبط نجاحها في ذلك بنتائج الحملة على العراق وبتطورالقضية الفلسطينية ومسيرة السلام، فإذا نجح المشروع الأمريكي في هذه المجالات فمن المتوقع أن يحصد نجاحا مماثلا في الحرب ضد الحركات الجهادية، أما إذا فشل فمن المتوقع أن تزدهر هذه الحركات وتزداد عملية ضرب المصالح الأمريكية. وبخصوص الحركات الإسلامية السلمية، فإن الشروط الأمريكية للتعامل معها تنطوي على قبولها بالتسوية السلمية، وضمانات للحريات العامة، وحقوق الإنسان، وحقوق

السياسي والتهميش الاقتصادي، والصراع العربي-الإسرائيلي، والفساد السياسي في الأنظمة العربية بعيد ا عن مسألة الانتماء الحضاري والثقافي، وجدل الهوية والوجود.

15[9] انظر: محمد سليمان، الحركات الإسلامية بعد ضربة العراق، www.islamtoday.net

16[10] لا يدخل ضمن هذا التصنيف الحركات المجاهدة ضد الاحتلال الصهيوني.

المرأة والأقليات، وبالتعددية السياسية وتداول للسلطة، وبنمط أقرب إلى الأحزاب "المسيحية الديمقراطية" في أوروبا.[17][11]

اقتصاديا: المطلوب إصلاحات اقتصادية في المنطقة نحو الانفتاح الاقتصادي واقتصاد السوق، والحرية الاقتصادية، وتعزيز دور المؤسسات الاقتصادية الدولية مثل IMF والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية.[18][12]

وهذه الإصلاحات تعزز بدورها الهيمنة الاقتصادية الأمريكية من خلال المؤسسات الدولية التي تسيطر الولايات المتحدة على إداراتها، ومن خلال الأسواق المفتوحة بين منطقة الشرق الأوسط وبينها.

ثقافيا: أما الناحية الثقافية فالمطلوب تشجيع نخب مثقفة ليبرالية في العالم العربي تؤمن بالثقافة الغربية الليبرالية، وبنشر الثقافة والنموذج الأمريكي، وزيادة مستويات التفاعل الثقافي بين الولايات المتحدة وبين الدول العربية، بالإضافة إلى الإصلاحات التعليمية التي تطالب فيها واشنطن الدول العربية وبالخصوص السعودية واليمن.[19][13]

17[11] انظر: غوستافو دي اريستيغي،اختبار حاسم للإسلام المعتدل، الحياة، 12/كانون الثاني/2003. وقارن ذلك بـ: حسين حقاني، حدود فرض الحكم العلماني في العالم الإسلامي، العرب اليوم، ترجمة عوني ابو غوش، 3/12/2002.

18[12] انظر: وثيقة الأمن القومي الأمريكي، مرجع سابق. وانظر كذلك: Joseph Nye, Redefining the National interest, Foreign Affairs, July/ August 1999, p 24.

يتبع

الجزء الثاني حول إمكانية نجاح المشروع الأمريكي..

19[13] انظر تصريحات رامسفيلد، الحياة 11/12/2002.